المراة والعسكرية

لا حديث اليوم للمرأة المسيحية في المملكة العثمانية الا العسكرية . اذ لا شاغل لافكارها اهمُّ منها ولا مؤثر بعواطفها اشدُّ وابلغ . وهي المرّة الاولى التي يتجند فيها زوجها وابنها واخوها ويتعلمون اصول الحرب استعداداً للمدافعة عن الوطن والامة عند اللزوم اسوة باخوانهم ابناء المسلمين . بعد ان مرَّ عليهم اجيال عديدة حظر عليهم فيها الانتظام بهذا السلك لاسباب سياسية زالت منذ اعلان الدستور حتى رسخ في بعض الاذهان ان المسيحيين غير اهل للخدمة العسكرية وانها ليست من واجباتهم الوطنية ولا قدرة لهم عليها بالنظر لما آلفوه من عدم التعرض لمتاعبها ولما فاتهم من مفاخرها او لما لم يذوقوه من ملذاتها و بعبارة ثانية لما لم يتمتعوا به من منافعها وحسناتها وانهم مستثنون منها بحكم العادة . ومن الظلم تغيير ما لم يتعوده الاجداد ولانشأ عليه الاحفاد . على ان كل امم الارض تنظم جنديتها من ابنائها كافة بلا استثناء ولا تميز حتى اعرقها في الرفاهة والدلال فلماذا كل هذا الخوف المستولي على بعضكن يا سيدات ؟

مرَّ على المرأة ادوار كانت تتشجع فيها على اقتحام الشدائد وتجرأ في الاقدام على المصاعب فتخوض المعامع وتكافح الابطال سائرة في مقدمة الجيش تحميه وتنشطه وتحرضه على الاستبسال بالقدوة ايضاً لا بالكلام فقط بدليل ما يروي لنا التاريخ . فللمرأتان اليونانية والرومانية كانتا ذات تاثير عظيم في الحرب ومثلهما المرأة العربية في صدر الاسلام . والاسرائيليات ايضاً نشأت منهن نابغات جريبات كنَّ فخراً لابطالهن بالقيادة والهجوم . والتركيات اظهرن من الشجاعة بمعاونة رجالهن على تأسيس الملك وتاليف الدولة وصيانتها ما يذكر بالفخر حتى ان بعض

معاصراتنا منهن المترفات المتنعمات لم يخفن من فتنة نيسان التي ادت الى خلع ذاك السلطان خوفاً يحملهن على تشبيط همم ذويهن الاحرار الدستوريين بل نشطنهم ما امكن شأن شقيقاتهن الارمنيات . كانت المراة الاسبرطية عندما تناول ولدها السيف و يراه قصيراً تقول له تقدم خطوة الى الامام فيطول . وكانت المراة البدوية ولا تزال عوناً لرجلها في رد الغارة عن القبيلة والمحافظة على الاستقلال

ما نشأت امة ولا تألفت مملكة ولا ثارت حمية قوم للاصلاح فثاروا ثورة عظيمة مكنتهم من قلب المستبدين وتوطيد اركان الشورى الا وكان للمرأة يد في العمل بجانب يد الرجل خصوصاً في العسكرية . والامم الراقية المترفة مع كل ايغالها في التنعم واغراقها في الترف لاتخاف من الجندية ولا تحاول تخويف الشبان منها بالنظر لما تعرفه من انها واجب وطني قدسته شعوب الارض قديمها وحديثها حتى صار الشاب الاوروبي والاميركي في بعض الممالك عندما يبلغ السن المناسب للعسكرية يأتي بنفسه الى الثكنة ليتعلم فنونها استعداداً لدفع الطواريء حرصاً على مقام الدولة المتنوء ظلّ رايتها ودرءا للمضار التي تترصدها وجلباً للمنافع اليها . وقد بلغ من جرأة المرأة الاميركية ما برهنه روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة بقوله في خطاب له في مؤتمر النساء في واشنطن — كما ان الأم تتبرأ من جندي جبان تعزّ عليه نفسه في سبيل شراء فخر البلاد وشرفها كذلك تتبرأ من المرأة الخائنة الجبانة التي لاتدفع بسلاح تربيتها عن عقول اولادها

فامتنا لا تريد من المرأة قائد للجيش كما كانت دبورة تقود جند اسرائيل ولامثل جان دارك عندما تولت قيادة جيش الفرنسيس ولا تطلب من بنات جنسها سواعد متينة لحمل البنادق ولا اكتافاً قوية لجرّ المدافع فان للشبان من متانة سواعدهم ما يغنيهم عن لطف سواعدهن ومن الصدور الواسعة

ما لا تنشبه به صدور ربات المشدّ وعددهم كاف لصدّ هجمات الطامعين بالبلاد

وانما تريد من المرأة ان تكون مساعداً ادبياً في تنظيم الجيش وتأليفه من كل الطوائف ليماثل الجيوش العظيمة بالقوة والعدد والانتظام وذلك بعدم التذمر من الخدمة العسكرية امام الشبان ولو تملك منها الخوف واشتد عليها الوجل وعدم تخويفهم منها وتقبيحها في عيونهم وتبغيضهم بها · بل بتكرار ذكرها امامهم بالارتياح والتجرّء عَلَى سمع موضوعها والاسهاب في البحث فيه وتنشيطهم عليها وتجميلها لهم وتحبيبها اليهم وترغيبهم فيها واعداد الاحداث لها من اليوم لئلا يصيبهم في شبابهم ما اصاب بعض شبابنا بالنسبة لعدم تأهيلهم لها من قبل لا بالفكر ولا بالقول ولا بالعمل وهكذا تقوم بالواجب الوطني نحو امتها وبلادها وتخدم قومها وتنفعهم كما ينبغي في مثل هذه الظروف عَلَى ان تتغلب عَلَى عواطفها وتقسي قلبها جهدها

لان الخدمة العسكرية حق يتقاضانا اياه الوطن وتقتضيه مصلحة الامة ويستازمه استقلالها ما زلنا في زمن تتنازع فيه الامم عَلَى الاشبار من الارض وتشيد بينها الاسوار للتباعد بالمصالح والغايات ويتعمد الاقوياء استعباد الضعفاء والاشرار التمكن من الاخيار وما زال الامن مختلا والدستور عرضة لانقضاض المستبدين وتنازع البقاء ناموساً قاسياً لا يشفق ولا يرحم والتزاحم عَلَى الرزق شديداً قوياً · فتكون اذا واجباً وطنياً لا بدّ منه ولا غنى عنه · والعقوق الخائن الجبان من يهرب منها ولا يراعي مصلحة امته وبلاده

حضرت الخنساء الشاعرة الشهيرة معركة القادسية سنة ١٦ للهجرة وكان فيها اولادها الاربعة فاوصتهم قبل القتال بما شجعتهم به فلما بدأ العراك اخذوا يكرون ابطالاً صناديد مترنمين بما علمتهم اياه فاتفق ان قتلوا كلهم مستبسلين فلما بلغ امهم الخبر قالت مع رقة شعورها ودقة احساسها المشهورين — الحمد لله الذي